DOI : 10.12816/0012738

العنف الأسري : الأسباب و الآثار وطرق الوقاية

د. نوري محمد أحمد شقلابو/جامعة الزاوية، ليبيا.

الملخص :

يعد تناول **العنف الأسري** بالبحث انطلاقاً من أهميته ، إذ يمثل العنف بكل صوره ومظاهره أخطر الظواهر التي تهدد النواة الشرعية الأولى للمجتمع، فالأسرة ليست نظاماً اجتماعياً فحسب بل هي مصدر للأخلاق والوسيلة الأولى للضبط الاجتماعي ، وفي هذا البحث يطمح الباحث إلى الوقوف إلى معرفة ماهيته ، وأسبابه ، إلى جانب التآطير النظري لهذه الظاهرة التي باتت اليوم منتشرة بشكل ملحوظ وبين كافة الشرائح بالمجتمع .

الكلمات المفتاحية :(العنف، الأسرة، الآثار).

المقدمة :

تعتبر ظاهرة العنف الأسري من الظواهر القديمة الحديثة في المجتمعات الإنسانية ،فهي أحياناً مقبولة اجتماعياً لدى بعض المجتمعات، وذلك لارتباطها ببعض العادات السائدة في المجتمع ، وهذا ما حدث إبان مجتمع جزيرة العرب أي قبل بزوغ فجر الإسلام حينما كانت البنت توأد فور ولادتها قبل أن ترى نور الحياة قال تعالى:﴿**وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾،سورة [التكوير،8،9].كذلك في ثقافة المجتمعات الريفية وبالتحديد صعيد مصر وبعض من المجتمعات العربية الأخرى الرجل لا يكون رجلاً إلا إذا كان قاسياً وعنيفاً مع زوجته وأبنائه، إذاً العنف ليس ظاهرة حديثة ، بل من الظواهر القديمة التي عرفتها المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور ، إلا أن الجديد فيها هو ارتفاع معدلاتها ومدى انتشارها واتخاذها أشكالا أخرى جديدة في المجتمع الحديث[1].

وبشكل عام فإن العنف سلوك مرفوض في كل المجتمعات الإنسانية أينما كانت ، لما يمثله من انعكاسات ضارة على كيان الأسرة والمجتمع ، فهو يمثل تهديداً لسلامة الأسرة وأمن أفرادها، إذ يشكل العنف تهديداً خطيراً لحقوق الإنسان خاصة المرأة والطفل الذين هم أكثر الأفراد ضحايا و عرضة لأضراره.

وقد توالت جهود المجتمع الدولي في التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة ، وتجسد ذلك في الاتفاقيات الدولية لمنع كافة أشكال التمييز ضد المرأة و الطفل ،ففي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تأكيدً لحقوق الإنسان وحريته وضمان أمنه واستقراره بشكل متكافئ ، وقد أشار هذا الإعلان في المادة الأولى منه على مبدأ ولادة جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وقد جاء في كتابه الحكيم قوله : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾.و قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾من سورة (الحجرات،آية 11)،وفي الكثير من الآيات خاطب الله الناس في عقولهم إذ وهبهم الله عقلاً وضميراً عليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً من خلاله بروح من الإخاء والمودة، قال تعالى:﴿ **وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.من سورة (الروم، آية 21).

بناءً على ما تقدم في هذه التوطئة البسيطة ،فإن العديد من الدراسات والبحوث في مجال علم الاجتماع والقانون والتربية وعلم النفس تؤكد مدى خطورة هذه الظاهرة ومدى انعكاساتها السلبية على تنشئة الفرد وشخصيته، وعلى الأسرة و استقرارها ، وعلى المجتمع نموه و تقدمه ، ففي المجتمع الليبي تشير بعض التقارير الرسمية والإحصاءات إلى مدى انتشار هذه الظاهرة بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة ،وهذا ما دعانا في الواقع للبحث في هذا الموضوع ، إذ تؤكد الكثير من

1 زكي بدوي، أحمد ، "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية"، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان، 1986 ، ص 441.

العنف الأسري : الأسباب و الآثار و طرق الوقاية

شقلابو ، نوري محمد أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 30/10/2017 User: @ Saudi Digital Library
Copyright © مركز جيل البحث العلمي. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
http://platform.almanhal.com/Details/Article/67431

الدراسات على أن مشكلة العنف وجودية تباينت مستوياتها بين الشعوب والأفراد ،وهذا التباين جاء نتيجة لتباين في المستويات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الشعوب ،كذلك تنبع أهمية دراسته أيضا من خصوصيته بإحدى فروع المعرفة في علم الاجتماع ، إلى جانب ذلك يمثل هذا البحث محاولة من الباحث إثراء المعرفة النظرية حول دراسة ظاهرة العنف الأسري على المستوى الإقليمي والدولي ، ومشاركةً منا في الجهود الدولية للحد من هذه الظاهرة المرفوضة في كل المجتمعات و ذلك من خلال عرض تعريفه ومعرفة أسبابه وما تؤديه من مآثر على مستوى الفرد والمجتمع وكيفية سبل الوقاية منه وفي جملة من المقترحات والتوصيات التي نرى لزاماً علينا كمتخصصين محاولة الحد من انتشار هذه الظاهرة بالمجتمع.

أولاً: ماهية العنف الأسري :

يعد تعريف العنف بشكل عام ، والعنف الأسري بشكل خاص مشكلة شائكة التحديد في معناها الاصطلاحي . فهناك العديد من التعريفات التي يعكس كل تعريف فيها وجهة نظر مدرسة فكرية معينة ، ومع ذلك يمكن القول إنه يكاد يكون من المتعذر فهم طبيعته دون ربطه ببعض المفاهيم المتصلة به كمفهومي بناء القوة(power structure) أو الشرع legitimacy أو السيطرة Dominance أو التحكم Control،لذا يعد مفهوم العنف من المفاهيم التي يحيط بها الكثير من الغموض ، فالعنف الأسري برأي الأكثرية من علماء الاجتماع ، ليس سوى : "شكلا من أشكال الاستخدام غير الشرعي للقوة ،فقد يصدر عن واحد أو اكثر من أعضاء الأسرة ضد آخر أو آخرين فيها بقصد قهرهم أو إخضاعهم وبصورة لا تتفق مع حريتهم و إرادتهم الشخصية ، ولا تقرها القوانين المكتوبة أو غير المكتوبة ، إذ يعرف العنف في علم الاجتماع بأنه "استخدام الضبط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما[2]، ويعرف كذلك على أنه كل فعل أو تهديد يتضمن استخدام القوة في إلحاق الأذى والضرر بالنفس أو بالآخرين وبممتلكاتهم،وكنمط من أنماط السلوك هو فعل يتضمن إيذاء الآخرين و يكون مصحوباً بانفعالات الانفجار والتوتر، وكأي فعل آخر لا بد وأن يكون له هدف يتمثل في تحقيق مصلحة معنوية أو مادية، وقد ينظر إلى العنف كظاهرة اجتماعية تتكون من عدد من أفعال مجموعة الفاعلين، تحدث في محيط معين، وتكون لها درجة من الاستمرارية بحيث تمثل فترة زمنية واضحة[3] .

أما **علماء النفس** فقد عرفوا العنف بأنه نمط من أنماط السلوك ينتج عن حالة من الإحباط ، نتيجة لصراعات نفسية لا شعورية تنتاب الفرد وتعوقه عن تحقيق أهدافه، لذلك فهو يلجأ إلى العنف للتنفيس عن قوى الإحباط الكامنة.

وقد عُرِّفَ العنف في العلوم الإنسانية المعاصرة تعريفاً مشابهاً، فجاء في **المعجم الفلسفي** لهذه العلوم بأن العنف مضاد للرفق ،ومرادف للشدة والقسوة ،والعنيف هو المتصف بالعنف ،فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضاً عليه من خارج فهو بمعنى ما فعل عنيف[4].

وبناء على ما تقدم يمكننا القول بأن **العنف** هو كل فعل أو قول أو همس أو إشارة أو حركة أو صمت يعكس أية نسبة من الأذى مهما تدنت أكان جسديا أم معنويا وفي صورته المادية أو النفسية.

ويمكننا القول أيضاً في **العنف الأسري** -محور اهتمام هذه الورقة البحثية- على أنه :"أحد أنماط السلوك العدواني داخل الأسرة والذي ينتج عن وجود علاقات غير سوية داخل الأسرة سواء بين الزوج والزوجة أو بين الأب والأبناء أو العكس وفي عياب لغة الحوار البناء".

2 .التير ، مصطفى عمر ،" العنف العائلي"، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1997 م، ص 14.

3 صليبة ، جميل،"المعجم الفلسفي"،المجلد الثاني، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص 112.

4طريف شوقي وآخرون ، "العنف في الأسرة المصرية"، من مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 2002، ص 7.

شقلابو ، نوري محمد أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 30/10/2017 User: @ Saudi Digital Library
Copyright © مركز جيل البحث العلمي. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
http://platform.almanhal.com/Details/Article/67431

ثانياً : الأسباب المؤدية للعنف الأسري :

يختلف العنف من حيث الدوافع والأسباب والمدلولات ، فمن ناحية الدوافع قد يأتي الاختلاف في دوافع كل طرف لارتكاب العنف، إن العنف المرتكب قد يكون واحد مثل الضرب أو الاهانة ، أو الاعتداء الجنسي،ولكن دافع الأهل في تأديب أبنائهم يختلف عن دافع الزوج في ضرب زوجته، أما من ناحية الدلالات، فإن العنف ضد الأباء - على سبيل المثال - يحمل دلالات مَرَضية على مستوى الفرد والمجتمع وهي تختلف عن تلك التي يحملها عنف الأباء ضد الأبناء، والذي قد يلقى- في بعض الأحيان استحسان ومباركة اجتماعية وتدعمه في ذلك المعايير الثقافية بالمجتمع ، وكذلك فان بعض المتغيرات ذات العلاقات الجوهرية بالعنف ضد الأطفال لا ترتبط بالمتغيرات المتصلة بالعنف بين الإخوة[5].

وهنا نحاول أن نتعرف على عدد من الأسباب التي تؤدي إلى ظاهرة العنف داخل نطاق الأسرة ، فمن الأسباب ما يتعلق بالمعنِّف وهو القائم بالعنف ، ومنها ما يتعلق بالمعنَّف أي الشخص الضحية الذي وقع عليه العنف.

1- الأسباب التي تتعلق بالقائم بالعنف :

وهي تلك الأسباب التي تنبع من ذات الإنسان، والتي تقوده نحو سلوك العنف، إذ توضح لنا الوقائع والدراسات أن الذين يتسببون في أفعال العنف داخل الأسرة هم أفراد عاديون ، ومن عامة الناس ، ولا ينتمون بالضرورة إلى فئة منحرفة أو مريضة نفسياً ، لكن بعض الباحثين يقول إن نسبة عالية من المسببين في أفعال العنف الأسري هم من الذين عندهم تاريخ مع الجريمة *،فقد وجد أحد الباحثين وهو(Graford) أن 50% من الأزواج الذين يضربون زوجاتهم سبق لهم أن قضوا وقتاً في السجن، إذ إن العنف عند هؤلاء ليس بالشيء العارض بل هو الطريق لوضع حد لمختلف ألوان الاختلاف مع الآخرين[6].

وتعود الأسباب التي تؤدي إلى استخدام الشخص العنف في الأدبيات إلى ما يلي:

أ - التربية الخاطئة :

وهي التنشئة التي يتلقاها الفرد في بيئته ومجتمعه وأسرته والتي تصور له فعل العنف وكأنه أمر طبيعي يحصل في كل بيت تعيش في كنفه كل أسرة، وقد يكون الزوج قد تربى على العنف منذ صغره ، مما يجعل هذا الأمر ينطبع في ذهنه ، ويجعله أكثر عرضة لممارسة هذا العنف في المستقبل ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة " أن الطفل الذي يتعرض للعنف من أسرته إبان فترة طفولته يكون أكثر ميلاً نحو استخدام العنف من ذلك الطفل الذي لم يتعرض للعنف فترة طفولته[7].

ومن التصورات الذهنية الخاطئة العائدة إلى سوء التربية ،ذلك الاعتقاد بأن في ضرب الزوجة هو أصلاحاً لها ، أو أن ضرب الزوجة يرتبط بإثبات الرجولة و فرض الهيبة، وأن استخدام الضرب سيجعل المرأة أكثر طاعة واحتراماً للزوج وتنفيذا لأوامره.

ب - العوامل النفسية :

وهي تفريغ الانفعالات النفسية لدى الشخص القائم بسلوك العنف وهو شعور المعنِّف النفسي في حياته اليومية بالغضب والضغط الذي يلاقيه من المجتمع خاصةً من رؤسائه في العمل إلى جانب الشعور بالغيرة التي هي انفعال مركب من حب التملك والشعور بالغضب.

5 التير،مصطفى عمر"الأسرة العربية والعنف ملاحظات أولية"، مجلة الفكر العربي، شتاء1996، العدد الثالث والثمانون، السنة السابعة عشرة، ص38.

6 العلاف ، عبد الله بن أحمد ، "العنف الأسري وآثاره على الأسرة والمجتمع"، شبكة المعلومات الدولية : www.saaid.net ، ص 6.

7 أنتوني ستور،"العدوان البشري"، ترجمة محمد أحمد غالي وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط الأولى، 1975م ، ص153.

شقلابو ، نوري محمد أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 30/10/2017 User: @ Saudi Digital Library
Copyright © مركز جيل البحث العلمي. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
http://platform.almanhal.com/Details/Article/67431

ويعاني الكثير من النساء في العالم بما يعرف بغيرة الزوج العمياء التي يراها دليل ، محبة بينما هي تراها دليل على شك وعدم الثقة ، وهذه الأسباب التي يغلب عليها الطابع النفسي تفقد المعنِّف عقله وتخرجه عن طوعه وعقله ، و من نماذج الأمراض النفسية التي قد تؤدي إلى العدوان "**السيكوباتية**"،وهي ما يعرف بحالة التخلق النفسي أو الروحي ، وإذ يبدأ تطور الحاسة الخلقية عند السيكوباتيين منذ الطفولة،حيث يبدي السيكوباتيون سلوكاً عدوانياً منذ السنين الأولى في العمر وتستمر معهم حتى بقية حياتهم[8].

ج - المشكلات الاقتصادية :

وهي المشكلات التي تحدث في محيط الأسرة والتي لا يطيقها الأب والتى تدفعه أحيانا إلى استخدام العنف إزاء أسرته سواء زوجته أو أبنائه، وهي تفريغاً لشحنة الخيبة والفقر الذي تنعكس آثارها بقيام سلوك العنف من قبل الأب إزاء الأسرة، فالبطالة والفقر والديون وما إلى ذلك من أمور تزيد من الضغوط النفسية على الزوج وتزيد من شعوره بالعجز والضعف، ولا يعتبر الفقر مؤثراً على شخصية الفرد إلا في حال استمراره مدة زمنية طويلة ، فالإنسان إذا عانى ضيقاً مادياً مؤقتاً، وكان يتمتع بالتربية الدينية والأخلاقية ، فإنه نادراً ما ينقلب إلى استعمال العنف، فالعنف إذاً " ليس رهناً بضغط ظروف اقتصادية سيئة في وقت ما بقدر ما هو رهن بتواتر هذا الضغط واستمرار تأثيره على الفرد وعلى سلالته على مرّ الأوقات[9].

د - الانحرافات الأخلاقية :

مثل شرب الخمور والمسكرات التي تؤجج وتزيد من الخلافات العائلية وتؤدي بالتالي إلى اللجوء للعنف ضد إفراد الأسرة ،فتعاطي المخدرات بشكل كبير يزيد من خطر العنف لشريك ، وفي عموم السكان ، في النسبة بين 22 ٪ إلى 41 ٪ من الذكور التي ارتكبت حوادث عنف مع الشريك ، وبين 10 ٪ إلى 33 ٪ من الإناث التي ترتكب أعمال العنف الشريكة ، وتحدث بعد تناول الكحول[10].

هـ- وسائل الإعلام المختلفة :

كثيراً ما تقدم أجهزة الإعلام وخاصةً المرئية وقنواتها المختلفة والتي لا حصر لها من مشاهد تشجع على العنف، ومن ذلك مشاهدة الأفلام العنيفة التي تدفع بالزوج إلى تطبيق ما رأى على أسرته، وقد أثبتت الدراسات مد صحة هذه النظرية إذ أن التعرض لوسائل الإعلام خاصة التي تعرض الممارسات العنيفة لا تنفس عن الفرد بقدر ما تدفعه وتحرضه على ممارسة السلوك العنيف[11].

وقد دلت الأبحاث على وجود علاقة بين ارتفاع نسبة الجريمة وبين العنف المشاهد من خلال التلفزيون عملاً بنظرية التعلم الاجتماعي التي سوف ترد تباعاً بهذه الورقة، فقد نشرت منظمة الائتلاف الدولي ضد العنف التلفزيوني بحثاً استغرق حوالي (22 عامًا) أظهر الأثر التراكمي للتلفزيون الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه و التى تقول: (بأن هناك علاقة مباشرة

8 رمسيس ، بهنام ،" المجرم تكوينًا وتقويمًا "، الإسكندرية : منشأة دار المعارف، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص219.

9 Graham, K. et al. (2004). Alcohol, gender and partner aggression: A general population study of British adults. Addiction Research and Theory, pp; 385-401.

10 الحضيف ، محمد بن عبد الرحمن، "كيف تؤثر وسائل الاعلام"، مكتبة العبيكان ، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1994، ص73.

11 كجك ،مروان،"الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون "، القاهرة : دار الكلمة الطيبة، الطبعة الأولى،1986، ص 129.

شقلابو ، نوري محمد أحمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 30/10/2017 User: @ Saudi Digital Library
Copyright © مركز جيل البحث العلمي. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
http://platform.almanhal.com/Details/Article/67431